يا آلَ إسرائيلَ.. لا يأخذْكم الغرورْ
عقاربُ الساعاتِ إن توقّفتْ، لا بدَّ أن تدورْ..
إنَّ اغتصابَ الأرضِ لا يُخيفنا
فالريشُ قد يسقطُ عن أجنحةِ النسورْ
والعطشُ الطويلُ لا يخيفنا
فالماءُ يبقى دائماً في باطنِ الصخورْ
هزمتمُ الجيوشَ.. إلا أنكم لم تهزموا الشعورْ
قطعتم الأشجارَ من رؤوسها.. وظلّتِ الجذورْ
لن تجعلوا من شعبنا
شعبَ هنودٍ حُمرْ..
فنحنُ باقونَ هنا..
في هذه الأرضِ التي تلبسُ في معصمها
إسوارةً من زهرْ
فهذهِ بلادُنا..
فيها وُجدنا منذُ فجرِ العُمرْ

(نزار قباني)

تمهيد

مـن ذا يعيـرك عينـه تبكـى بهـا أرايـت عـين للبكـاء تعـار!!

نتعرض في تلك الدراسة لتفنيد الرواية "الإسرائيلية" التاريخية التي تحدثت عن "انتقال طوعي" جماعي أقدم عليه مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين قرروا أن يهجروا بيوتهم وقراهم مؤقتاً من أجل ان يفسحوا الطريق أمام الجيوش العربية الآتية لتدمير الدولة اليهودية الوليدة عام ١٩٤٨[١].

يؤكد شيمون بيريز أن: "الفلسطينيون هربوا من قراهم ومدنهم في سنة ١٩٤٨ بأوامر من قادتهم"[٢] وتدعي السلطات "الإسرائيلية" والحركة الصهيونية في الدعاية الرسمية وفي المحافل الدولية أن العرب هم من هربوا من البلاد، وكانت البلاد فارغة وادعى "الإسرائيليون" والصهيونيون دائماً أن ما حدث سنة ١٩٤٨ م هو أن الزعماء العرب طلبوا من الفلسطينيين مغادرة قراهم ومدنهم مؤقتاً، ريثما تقوم الجيوش العربية بالقضاء على الدولة اليهودية الوليدة. فاستجاب عدد كبير من الفلسطينيين لهذا الطلب، وخرجوا بمحض إراداتهم، ظانين أنهم سيعودون إلى بيوتهم بعد فترة وجيزة - ولكن الجيوش العربية فشلت في مهمتها، فطالت فترة الانتظار حتى أصبح الفلسطينيون لاجئين Refugees، ويدعي البعض منهم أنهم طلبوا منهم البقاء والعيش كمواطنين في دولة يهودية لكن العرب آثروا الرحيل[٣].

وهدفت الدعاية الصهيونية Propaganda إلى المحافظة على صورة "اسرائيل" كمجتمع عادل وأخلاقي لا تشوبه شائبة؛ حيث أدركت أن الدعاية العاطفية لها اليوم حكم السيف وأن أبواب الأرشيفات ستبقى موصدة،وعليه سيكون من العسير الوصول إلى جذور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين Palestinian refugees، وظل الوضع كذلك حتى نفضت الأرشيفات عن غبارها مؤخرا وكشفت للرأي العام الحقيقة التاريخية المؤلمة[٤].

---

(١) إيلان بابه: التطهير العرقي في فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ترجمه أحمد خليفة، ٢٠٠٧ ص ٤.

(2) Shimon Peres, The New Middle East, With Arye Naor (London: Shaftesbury) Element Books, 1993), p. 198

(٣) واصف منصور: مسألة اللاجئين جوهر القضية الفلسطينية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ٢٠٠٨، ص ١٧٦.

(٤) يوسي ميلمان: الاسرائليون الجدد، ترجمه مالك البديري، دار الأهلية للنشر، الأردن ، ص ٧٦.

لقد مارست الحركة الصهيونية[١] Zionism من أجل تحقيق كيان يهودي مزور إرهابها ضد الشعب العربي في فلسطين لإكراهه على ترك بلاده وهجر أراضيه، حتى تبقى لهم الأرض خالية من السكان No Man's Land. وليس من شك في أن مجمل السياسة الأمنية الصهيونية الشاملة: العسكرية والسياسية والاقتصادية والسكانية، كانت تقوم ضمن إطار الاستراتيجية الصهيونية الرامية إلى تفريغ الأرض العربية من أصحابها وتهويدها، واستيطانها بأفواج الغزاة اليهود[٢] الجدد القادمين من أنحاء العالم، والعمل بصورة مستمرة على تهجير Transfer أكبر عدد ممكن من المواطنين العرب الفلسطينيين بشتى وسائل الترغيب والترهيب"[٣].

والمشروع الصهيوني جاء منذ البداية ملوحاً بخلخلة المجتمع الفلسطيني، وطرد الفلسطينيين Expulsion عن ترابهم الوطني، والتوصل بتهجيرهم وبعثرتهم إلى إزالة مجتمعهم، وضمان عدم إمكانية ظهوره من جديد إلى ما كان الصهاينة يأملونه، وهو تشتيت الفلسطينيين في الأقطار المجاورة[٤]. أو كما قال أحد الباحثين كان مشروعاً كبيراً للتطهير العرقي[٥] لكي تسود سيطرتهم في البلاد فيتمكنوا من

---

(١) صهيونية Zionism (بالعبرية:**ציונות**): هي حركة سياسية دينية يهودية تهدف إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وذلك بتشجيع هجرة اليهود في أنحاء العالم كافة إلى فلسطين وإغرائهم بالأماني والأحلام الوردية التي تنتظرهم في الأراضي الفلسطينية لإقامة المستعمرات اليهودية. وقد حققت الصهيونية أول أهدافها بعد الحرب العالمية الثانية، بإعلان قيام دولة يهودية في فلسطين واعتراف عدد من الدول بها وقبولها عضوا في الأمم المتحدة وقد تضافرت جهود كل من بريطانيا و الولايات المتحدة لإنجاح هذه الحركة من خلال الدعم المستمر لها، راجع، فتحي الإبياري: الصهيونية، دار المعارف، سلسلة كتابك، رقم ١٣.

(٢) اليهود: اسم قبيلة، مأخوذ من الهود: أي التوبة، ومعنى هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وفي سورة الأعراف يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) أي تبنا ورجعنا، ويقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]" والمراد: يهودا، فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية. وقد ورد ذكر اليهود في القرآن الكريم باسم (الذين هادوا) عشر مرات، وباسم (اليهود) ثماني مرات، وباسم (هوداً) ثلاث مرات، لسان العرب ٣: ٣٤٠، تفسير البيضاوي ص ١٤.

(٣) راجع، نواف الزرو: موجات الغزو الصهيوني: صراع البقاء والإجلاء ١٨٨٢ - ١٩٩٠، دار اللوتس، عمان، الأردن، ١٩٩٠، ص٧٥.

(٤) الياس صنبر: فلسطين: التغيب ١٩٤٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص٢٠.

(5) Saleh abdel Jawad, "Massacres and the Creation of the Palestinian Refugees Problem in the 1948 War," in Max Planck Institute for Comparative Public and

صبغ فلسطين بالصبغة اليهودية، ومن ثم إجلاء الفلسطينيين Evacuation إلى خارج فلسطين، وسلب Pillage حقوقهم والإقامة مكانهم[١].

وقد أكد المفكر الصهيوني البريطاني إسرائيل زانغويل Israel Zangwill (١٨٦٤ - ١٩٢٦) [٢]، في كتاباته الأولى – ١٩١٧ - على ضرورة طرد العرب وترحيلهم، فيقول: " يجب ألا يسمح للعرب أن يحولوا دون تحقيق المشروع الصهيوني؛ ولذا لا بد من إقناعهم بالهجرة الجماعية، أليست لهم بلاد العرب كلها، ليس ثمة من سبب خاص يحمل العرب على التشبث بهذه الكيلومترات القليلة، فهم بدو رحّل يطوون خيامهم وينسلون في صمت وينتقلون من مكان لآخر"[٣].

ودعا الصهاينة إلى انتهاج سياسة القوة لاعتقادهم بأن القوة وحدها هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب لإجبارهم على الرحيل من وطنهم، وأخذوا يعتمدون عليها لتحقيق أهدافهم العنصرية والاستيطانية [٤]، وكانت فكرة نفي الوجود الفلسطيني بتشتيته قد عبَّر عنها مناحيم أوسيشكين Ussishkin(١٨٦٣ - ١٩٤١) [٥] - أحد قادة الاستيطان ١٩٣٠م - بقوله:" من المحتم بالدرجة الأولى، أن تكون جميع أراضي فلسطين أو معظمها ملكاً لشعب "إسرائيل". وبدون حق ملكية الأراضي لا تكون فلسطين يهودية أبداً "[٦] كما قال أيضاً: " أود أن يذهب العرب إلى العراق وآمل بأن يذهبوا إليه في زمن ما "[٧].

International Law, Proceedings of the International Conference Israel and the Palestinian Refugees, Heidelberg, July 2003. Forthcoming 2005.

(١) إيلان هاليفي، المسألة اليهودية، ترجمة فؤاد جديد، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، ١٩٨٦، ص٢٣٧.

(٢) للمزيد عن شخصيته، راجع، عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٧٥، ص ٢٠٥.

(3) David McDowall, Palestine and Israel (London, New York: I.B. Tauris & Co Ltd), p. 186.

(٤) إبراهيم أبولغد: تهويد فلسطين، ترجمة: أسعد الزرو، رابطة الاجتماعيين، الكويت، ١٩٧٢، ص١٨٦.

(٥) ولد العام ١٨٦٣ في بلدة دوفروفنا في روسيا البيضاء. وانتقلت عائلته إلى موسكو العام ١٨٧١، ودرس في مدرسة عبرية فيها باسم (الريئالي). وتأثّر بكتابات مفكرين صهيونيين أمثال مابو وشولمان وسمولنسكين، وتوفى اوسيشكين العام ١٩٤١. راجع، عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٦) أسعد عبد الرحمن ونواف الزرو: موجات الغزو الصهيوني ١٨٨٢ - ١٩٩٠، دار اللوتس، عمان، ١٩٩٠، ص٣.

(٧) نور الدين مصالحة: طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني ١٨٨٢-١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص٤١.

وجاء على لسان فلاديمير جابوتنسكي Vladimir Jabotinsky [١] أيضاً: " أن العرب يستطيعون التنازل عن فلسطين وشرق الأردن، وتكفيهم الأراضي الأخرى الشاسعة التي يقطنونها، خصوصا وأن عدد سكانها قليل للغاية بالنسبة لمساحتها "[٢]، وأكد على وجوب ترحيل العرب بالقوة، لأن ترحيلهم بحسب رأيه شرط أساسي لتحقيق الصهيونية؛ فاقترح في رسالة بعث بها إلى السناتور الأميركي غرا سنبيرغ: "إن تأسيس أكثرية يهودية في فلسطين يجب أن يتم عنوة عن إرادة الأكثرية العربية الموجودة في البلاد. وسيرعى عملية إنجاز هذه الأكثرية جدار حديدي من القوة اليهودية المسلحة"[٣] لتحرير فلسطين بحد السيف[٤].

واعتبر يوسف فايتس[٥] الإنسان العربي الفلسطيني حجر عثرة أمام تحقيق المشروع الصهيوني وأن عمليات وصفقات شراء الأراضي.. قد اصطدمت عشرات المرات بمعارضة الفلسطينيين من ابناء فلسطين الذين تم ترحيلهم عن بيوتهم[٦].

لقد عمل اليهود على الاستيلاء على فلسطين بشكل مخطط ومدروس تحت شعار "أرض بلا شعب لشعب بدون أرض" Land without a People [٧]، وبوسائل أتبعت فيها أشرس أساليب التمييز العنصري، مستخدمة ثلاثية: "الضم والاستيطان والتهجير" [٨] وكانت محاولات إقامة دولة يهودية تعني بالضرورة تدمير شعب فلسطين العربي أو كما قال فايتس[٩] في البند المؤرخ بيوم ٢٠ كانون الأول/

---

(١) سيتم تناول شخصيته بالتفصيل في ثنايا الدراسة.

(2) Joseph B. Schechtman, The Vladimir Jabotinsky Story, 2 Vols. (New York: T. Yoseloff, 1956 – 1961), Vol. 2: Fighter and Prophet: The Last Year, p. 55.

(٣) ميخائيل بالمبو: كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام ١٩٤٨، دار الحمراء، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٧

(4) st. John Robert, They Came from Everywhere, Twelve Who Helped Mold Modern Israel , New York , 1962, p. 124

(٥) سيتم تناول شخصيته بالتفصيل في ثنايا الدراسة.

(٦) جوني منصور: منقذ الأرض وداعية ترانسفير للفلسطينيين، مجلة قضايا اسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، عدد ١١، ١٢، صيف وخريف ٢٠٠٣ م، ص ١٦٣.

(٧) يتهكم ايلان بابه المؤرخ الإسرائيلي المنصف على تلك لمقولة قائلاً " أما الفلسطينيون، السكان الأصليون فكانوا في نظر اليهود كائنات غير مرئية أو – إن لم يكونوا كذلك – كانوا جزءاً من عقبات الطبيعة التي يجب التغلب عليها أو إزالتها. إيلان بابه: التطهير العرقي في فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٨) بسام عبد المنعم: المحاولات الصهيونية لتهويد القدس الشريف، كتاب المؤتمر الدولي الأول لنصرة القدس، قدس نت للدراسات والإعلام، ٢٠٠٧ م، ص ٢٣٢.

(٩) مدير دائرة الاستيطان في الصندوق القومي اليهودي ورئيس لجنة الترحيل الرسمية التي كانت تابعة للحكومة الإسرائيلية في سنة ١٩٤٨.

ديسمبر ١٩٤٠ من يومياته: " لا بد أن يكون واضحاً لنا عدم وجود متسع لشعبين يعيشان معاً في هذه البلاد وليس ثمة من وسيلة سوى نقل العرب من هنا إلى البلدان المجاورة نقلهم جميعاً، ويجب ألا تبقى قرية واحدة أو قبيلة واحدة "[١].

وفي الختام يحق لنا أن نتسائل، كيف يصدق البعض – ومنهم أهل ثقافة وعلم - وبمنتهى البساطة دون دراسة أو تعمق في الوثائق واستقراء أحداث التاريخ أن الفلسطينيين يبيعون أرضهم لليهود؟!!!، فرية تعمدت الدعاية الصهيونية والغربية بل وللأسف عربية أيضاً ترويجها وتعميمها وكأنها حقيقة واقعة لا مجال لتفنيدها؛ ولذلك كان الهدف من وراء تلك الدراسة وهو مناقشة مدى صحة أو زيف ما يقال حول بيع الفلسطينيين أراضيهم لليهود، مستندين إلى الوثائق والأرقام الموثوق فيها والموضوعية قدر المستطاع محاولين التغلب على إشكالية تقول أن جزءاً كبيراً من مصادر المأساة الفلسطينية المكتوب اختفى مع الحروب التي لم تكن حروباً بالمعنى التقليدي، وإنما كانت مشروعاً كبيراً للتطهير العرقي[٢] ورغم ذلك فالوثائق والتاريخ والأرقام تحمل في جعبتها الكثير من الحقائق والأسرار بل والمآسي أيضاً.

والله من وراء القصد

أنور محمود زناتي
جامعة عين شمس

(1) Wetiz Diary (Central Zionist Archives, Jerusalem), A 246/7, pp. 1090- 1091

(2) Benedict Anderson, Imagined Community (London: Verso, 1983), p. 77